

الحذر الحذر من الابتداع في شهر رجب

خالد بن ضحوي الظفيري

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمِدُه وَنُسْتَعِينُه وَنُسْتَغْفِرُه، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ أَنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،
مِنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلٌّ لَّهُ، وَمِنْ يَضْلِلُ فَلَا هَادِي لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ
لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنْتُمْ مُسِلِّمُونَ﴾ [آل عمران: ۱۰۲].
أَمَّا بَعْدَ:

عباد الله: إن الله تعالى أمرنا باتباع رسوله وسلوك سبيله، وأمرنا بالاتباع، ونحانا عن الابتداع،
قال سبحانه وتعالى: (ابْتَغُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رِبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أُولَيَاءِ) [الأعراف: ۳]
وكان نبينا ﷺ يحذر من البدع فيقول: "إِيَاكُمْ وَمَحْدُثَاتُ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالٌ.

عباد الله: اعلموا أن البدع والمحاثات في الدين أصل كل بلاء وفتنة، وأن الشيطان يحرص كل
الحرص على صد الناس عن الدين الصحيح، فإن رأى منهم عدم رغبة في الدين شجعهم على
ذلك وزين لهم المعاصي والشهوات وفتح لهم أبواب الشبهات، وإن رأى منهم محبة للدين أدخل
عليهم من البدع والزيادات ما يفسده عليهم فتنبهوا لذلك - واعلموا أن الشريعة جاءت كاملة
لا تحتمل الزيادة والنقصان لأن الله تعالى يقول: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) [المائدة: ۳] فلا
مكان للبدعة في دين الله، قال الإمام مالك رحمه الله: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة
فقد زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم خان الرسالة لأن الله يقول: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ
دِينَكُمْ) [المائدة: ۳] فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً - إن المبتدع معاند لله مشاق له
لأن الله حدد الطرق الموصولة إلى الخير وحصرها - وهذا المبتدع يريد أن يزيد عليها أو ينقص
منها فجعل نفسه شريكاً لله في تشريعه وكفى بذلك ضلالاً وإثماً مبيناً، والله أمر باتباع ما
شرعه، فأبى المبتدع ذلك واتبع هواه بغير هدى من الله.

عباد الله: لما كثرت وسائل النقل المعلوماتية وتسهلت وانتشرت أصبح الناس ينقلون لغيرهم ما
يصل إليهم من غير تأكيد من المعلومة وصحة الخبر والحديث، مع اجتهاد أهل البدع في نشر
بدعهم واستغلال مثل هذه الغفلة من المسلمين، فوجب التنبيه على تلك البدع في أوقاتها حتى
يكون المسلم على بصيرة من دينه، ومن هذه البدع ما يفعل في شهر رجب الذي نحن في أوله

من العادات الجاهلية والأمور البدعية التي يزعم مرتكبوها أن لشهر رجب خاصية على غيره، وليس الأمر كذلك، فإن شهر رجب أحد الأشهر الحرم، ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل رجب حديث، بل عامة الأحاديث المأثورة فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم كلها كذب. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وقد أحدث الناس في هذا الشهر عبادات لم يشرعها الله ولا رسوله - من ذلك تعظيم أول خميس منه وليلة أول جمعة منه، فإن تعظيم هذا اليوم وتلك الليلة من رجب إنما حدث في الإسلام بعد المائة الرابعة، والحديث المروي في ذلك كذب باتفاق العلماء، ولا يجوز تعظيم هذا اليوم لأنه مثل غيره من الأيام، وقال الحافظ ابن رجب: فأما الصلاة فلم يصح في شهر رجب صلاة مخصوصة تختص به، والأحاديث المروية في فضل صلاة الرغائب في أول ليلة جمعة من شهر رجب كذب وباطل لا تصح، وهذه الصلاة بدعة عند جمهور العلماء - قال: وأما الصيام فلم يصح في فضل صوم رجب بخصوصه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه. وروي عن عمر رضي الله عنه أنه كان يضرب أكف الرجال في صوم رجب حتى يضعوها في الطعام ويقول: ما رجب؟ إن رجباً كان يعظمه أهل الجاهلية فلما كان الإسلام ترك، وفي رواية كره أن يكون صيامه سنة.

ومن البدع المنكرة التي تفعل في هذا الشهر بدعة الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج في الليلة السابعة والعشرون منه، يحتفلون في تلك الليلة وينصصونها بأنواع من العبادات ما أنزل الله بها من سلطان فيخصوصون تلك الليلة بأذكار وأدعية وصلاة، وتحصيص تلك الليلة خطأ من عدة وجوه: أولاً: أن الإسراء لم يقم دليلاً على تعيين ليلته التي وقع فيها ولا على الشهر الذي وقع فيه. فالعلماء مختلفون في زمانه فتخصيص ليلة من الليالي في رجب أو غيره للإسراء تحصيص لا دليل عليه.

ثانياً: لو ثبت تعيين الليلة التي وقع فيها الإسراء لم يجز لنا أن نخصص تلك الليلة بشيء لم يشرعه الله ولا رسوله فإنه لم يرد أن الرسول صلى الله عليه وسلم احتفل في تلك الليلة ولا خصها بشيء من العبادات، ولم يفعل ذلك خلفاؤه الراشدون من بعده ولا صحابته الكرام، ولا التابعون لهم بإحسان فلا يجوز لأحد بعدهم أن يحدث في الإسلام شيئاً لم يفعلوه.

ثالثاً: أنه يفعل في تلك الليلة وفي ذلك الاحتفال أمور منكرة كالاجتماع في المساجد وإيقاد الشموع والمصابيح فيها وعلى المنارات مع الإسراف في ذلك. ومن العجيب أن بعضها من هؤلاء الذين يختلفون بمناسبة الإسراء والمعراج أو كثيراً منهم لا يهتمون بما شرع فيه من الصلوات

الخمس فبعضهم لا يصلِّي أبداً وبعضهم لا يحضر صلاة الجمعة في المساجد وإنما ينشط في البدع ويكتسِل عن السنن والواجبات، ولا يحافظ على الجمع والجماعات.

عباد الله: إن البدع مع أنها حدثت في الدين، وتغيير للملة، فهي آثار وأغلال تضاع فيها أوقات وتنفق فيها أموال، وتتعب فيها أجسام، وتبعد من الجنة وتقرب من النار، وتوجب سخط الله ومقته، ولكن أهل الغي والضلالة لا يفهون، وفي طغيانهم يعمهون، لا يزيد لهم عملهم عن الله إلا بعداً ولا اجتهادهم وتعبهم إلا مقتاً ورداً.

يقول الإمام البربحاري رحمه الله: (واعلم أن الناس لم يبتدعوا ببدعة قط حتى تركوا من السنة مثلها، فاحذر المحدثات من الأمور، فإن كل محدثة ببدعة، وكل بذلة ضلالة، والضلالة وأهلها في النار. واحذر صغار المحدثات من الأمور؛ فإن صغير البدع يعود حتى يصير كبيراً، وكذلك كل بذلة أحدثت في هذه الأمة، كان أولاًها صغيراً يشبه الحق، فاغتر بذلك من دخل فيها، ثم لم يستطع الخروج منها، فعظمت وصارت ديناً يدان به فخالف الصراط المستقيم، فخرج من الإسلام، فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة فلا تعجل، ولا تدخلن في شيء منه حتى تسأله وتنظر هل تكلم به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحد من العلماء؟ فإن وجدت فيه أثراً عنهم فتمسك به، ولا تجاوزه لشيء، ولا تختر عليه شيئاً فتسقط في النار). **أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**.

الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن أتَى هداه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبده ورسوله.
أما بعد:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله، فمن أتقى الله وقاده، ونصره وكفاه.
عباد الله: لقد حذر السلف الصالحة من الابتداع في الدين غاية التحذير لعلمهم بخطورة هذا الأمر وأن البدع والمبتدةع من أسباب هلاك الناس، لأن البدعة تحر إلى أختها فيصبح المسلم يتقلب بين الأهواء والبدع والضلالات والمذاهب المنحرفة والأحزاب البدعية، بل قد يصل به الأمر إلى تكفير المسلمين وقتاً لهم، كما قال تعالى: (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ)، واسمع معي إلى

هذا الأثر العظيم الذي يبين فيه الصحابة خطورة البدع وما تجرّ إليه.

فقد روى الدارمي وغيره قال: حدثنا الحكم بن المبارك حدثنا عمرو بن يحيى قال سمعت أبي يحدث عن أبيه قال كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة فإذا خرج مشيينا معه إلى المسجد فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال أخرج إليك أبو عبد الرحمن بعد قلنا لا فجلس معنا حتى خرج فلما خرج قمنا إليه جميعاً فقال له أبو موسى يا أبو عبد الرحمن إنني رأيت في المسجد آنفًا أمراً أنكرته ولم أر والحمد لله إلا خيراً قال فما هو فقال إن عشت فستراه قال رأيت في المسجد قوماً حلقا جلوساً ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى فيقولون كبروا مائة فيكرون مائة فيقول هللو مائة فيهلو مائة ويقول سبحوا مائة فيسبحون مائة قال فماذا قلت لهم قال ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك وانتظار أمرك قال أفال أمركم أن يعدوا سيناثم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم ثم مضى ومضينا معه حتى أتي حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال ما هذا الذي أراكم تصنعون قالوا يا أبو عبد الرحمن حصى نعد به التكبير والتلهيل والتسبيح قال فعدوا سيناثكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء ويحكم يا أمّة محمد ما أسرع هلكتكم هؤلاء صحابة نبيكم صلى الله عليه وسلم متواترون وهذه ثيابه لم تبل وآتيته لم تكسر والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتاحوا بباب ضلاله قالوا والله يا أبو عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير قال لكم من مريد للخير لَن يصييه إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَثَنَا أَنَّ قَوْمًا يَقْرَئُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَوزُ ترَاقِيهِمْ وَإِيمَانُ اللَّهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ سَلَمَةَ رَأَيْنَا عَامَةَ أُولَئِكَ الْحَلَقَ يَطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانَ مَعَ الْخَوارِجِ

فمن فوائد هذا الأثر ، أن هؤلاء تساهلوا في بدعة في نظرهم أنه خير و فعل حسن وما علموا أنها تجرّهم إلى أن أصبحوا يقاتلون الصحابة ويکفروهم في معركة النهروان، وفيه أن على المسلم أن لا ينشر كل ما يراه في نظره حسناً دون الرجوع إلى أهل العلم وسؤالهم حتى تظهر له السنة من البدعة، وفيه أن الابتداع فيه ادعاء نقص الدين وأن صغار البدع تجر إلى كبارها، ألا ترى أن أصحاب تلك الحلقات صاروا بعد من الخوارج الذين قتلهم الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ؟ فهل من معتبر؟! وفيه أن كل بدعة ضلاله فليس في الدين بدعة حسنة وسيئة بل كلها سيئة وضلاله، وفيه أن العبرة ليست بكثرة العبادة وإنما بكونها على السنة بعيدة عن البدعة وقد أشار إلى هذا ابن مسعود رضي الله عنه بقوله أيضاً: اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة.